

المعاهدات القرطاجية الرومانية ما بين الحرب البونيقية الأولى والثانية 241 _ 218 ق.م

نور الهدى ورنوغي

طالبة دكتوراه

جامعة الجزائر-2-

الملخص:

كان لدبلوماسية السياسية مكاناً كبيراً في الصراع الذي جمع أكبر قوتين في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط (قرطاج وروما)، والذي عرف في التاريخ بإسم "الحروب البونيقية"، رغم أن هذا الصراع كان صراع عسكري بين أهم القادة العسكريين وبين أقوى الجيوش في الحوض الغربي للمتوسط، غير أن للأساليب السياسية السلمية دور كبير في هذا الصراع، فقد شهدت فترة من نهاية الحرب البونيقية الأولى إلى بداية الحرب البونيقية الثانية فترة سلم بين الطرفين المتحاربين، ولكن كانت فترة صراع وتنافس سياسي بين الاطراف المتحاربة، فقد تم فيها إبرام العديد من المعاهدات وذلك من أجل توزيع مناطق النفوذ بين الطرفين المتحاربين، ولإعادة التوازن في الحوض الغربي للمتوسط.

Abstrait :

La diplomatie politique une grande place dans le conflit, qui a réuni les deux plus importants dans le bassin occidental de la mer Méditerranée (Carthage et Rome), qui est connu dans l'histoire comme les « guerres puniques », bien que ce conflit était un conflit militaire entre les dirigeants de cuivres les plus importants et parmi les armées les plus puissantes du bassin occidental de la Méditerranée , mais les méthodes politiques pacifiques d'un rôle majeur dans ce conflit, la période allant de la fin de la guerre punique a vu le début de la deuxième guerre punique de paix entre les deux parties belligérantes, mais ce fut une période de conflit et la rivalité politique entre les parties en conflit, il a été la conclusion d'un grand nombre des traités de pour la distribution Zones d'influence entre les

deux parties belligérantes, et de rétablir l'équilibre dans le bassin occidental de la Méditerranée.

إن دراسة المعاهدات موضوع ذا أهمية كبيرة خلال فترة الحربين البونيقيتين الأولى والثانية، فقد كانت نهاية الحرب الأولى بتوقيع معاهدة 241 ق.م، وكانت بداية الحرب الثانية بخرق معاهدة 226 ق.م، لذلك يجب دراسة ظروف توقيع تلك المعاهدات وبندوها ثم تحليل نتائجها.

الجدير بالذكر أن بداية العلاقات بين الدولتين لم تكن علاقة اصطدام، إنما علاقة تحالف، فقد أبرما الطرفين العديد من المعاهدات سابقة لفترة الاصطدام، فقد صادف إنتصار قرطاجة على القائد الاغريقي "أغاثوكليس"، تقدماً إقليمياً حققته روما في جنوب إيطاليا والمستعمرات الاغريقية، فقد كان العنصر الاغريقي خصماً مشتركاً لروما وقرطاجة¹، فبعد زوال هذا الخطر تفرغ الطرفين إلى مد نفوذهما في مناطق التي كانت خاضعة للإغريق، فهذا الوضع الجديد يقتضي توثيق الصلة بين الدولتين، فقد كانت العلاقة بين قرطاجة القوية العظيمة وروما الفتية الناشئة في القرن الرابع وبداية القرن الثالث ق.م، علاقات ودية وتحالف حيث فرضت الظروف التاريخية على الجانبين التقرب من بعضهم²، ولكن رغم وجود معاهدات التحالف، لكن كان دائماً هناك نوع من عدم الثقة بن الطرفين، فقد كانا يشعران بالحاجة الى الوسائل الدبلوماسية لتأكيد انهما حليفين³، فقد أبرمت عدد من المعاهدات بين قرطاجة وروما في عهد الجمهورية الرومانية، تتضمن اعتراف كل من الطرفين بمصالح الطرف الاخر إقليمياً⁴، أهم معاهدتين قبل الحرب البونيقية الاولى:

¹ محمد بشير شنيقي، الجزائر قراءة في جذور التاريخ وشواهد الحضارة، المرجع السابق، ص 171.

² نفسه.

فرانسوا دوكريه، قرطاجة امبراطورية البحر، تر: عز الدين احمد، دار الأهلبي، ط1، 1996، ص 130-3.

⁴ محمد البشير شنيقي، المرجع السابق، ص 133.

معاهدة عام 509 ق.م:

فأقدم المعاهدات ترجع إلى 509 ق.م (أنظر الملحق الأول)، وهي موجودة في معبد "الكابتول"، وقد أطلع عليها "بوليبوس" والتي نصت على أن يسمح للقرطاجين بممارسة التجارة في جزيرة صقلية عكس الرومان التي يمنع عنها ممارسة التجارة في صقلية

وسردينيا وإفريقيا¹ في المقابل تتعهد قرطاجة بعدم التعدي على أرديا-Ardeates أنتيوم-Antiaties

ولورانتيوم-Laurentins

وكيركي-Circéens - وتراكينا-Terraci

و كل المدن اللاتينية التابعة لروما، وقد

حاول قرطاجة في المعاهدتين

التي تلت معاهدة 509 ق.م

ان تحمي نفسها عن طريق

بنود قاسية كي لا تتعرض

الاي خطر من حليفها التي

كانت اطماعه في تزايد.²

بنود المعاهدة:

- I. يكف الرومان وحلفائهم عن الملاحقة فيما وراء "الراس الطيب"، إلا إذا أجبرتهم العاصفة أو قوة مادية، وفي هذه الحالة يمنع على رايثا بيع أو شراء أي شيء، باستثناء الأما هو ضروري لإصلاح السفينة أو تقديم القرابين، وعليهم بالإبحار في الأيام الخمسة الموالية.
- II. لا يحق للمدين يقدمون للتجارة، عقد أية صفقات دون حضور بشير أو كاتب ضبط، أما بالنسبة لتسديد المشتريات التي تتم بحضور هؤلاء المواطنين تكون الدولة هي الضامنة للبائع، وهذا حول المبيعات التي تتم في "سيردنيا" وفي إفريقيا.
- III. يتمتع كل روماني يتوجه إلى صقلية الخاضعة لسلطة قرطاجة بنفس الحقوق التي يتمتع بها الآخرون.
- IV. يكف القرطاجيون عن كل عمل عدواني ضد "أرديا" *Ardée*، "أنتيوم" *Antium*، "لورانتيوم" *Laurentum*، "كيركي" *Ciricii*، "تراكينا" *Tarracina*، وكل المدن اللاتينية الخاضعة لروما.
- V. وعلى قرطاجيين تجنب مهاجمة المدن المستقلة عن الرومان، وفي حالة الاستلاء على أحدها، يجب عليهم تسليمها سالمة للرومان.
- VI. يمنع على القرطاجيين إنشاء حصون في "اللايوم"، وإن حدث ودخلوا الأراضي اللاتينية بالقوة، فيجب عليهم الانسحاب دون قضاء ليلة واحدة.

¹ M. Rollin et M. Crevier, **Histoire Romaine** (depuis la foundation de Rome), Ed: M.DCC.LII, Paris, p 464 – 465.

² Polybe, **Histoire Romaine**, Tr: Félix BOUCHOT, Ed: CHARPENTIER, LIBRAIRE-ÉDITEUR, Paris, 1847, liver: III, 22.

الملحق رقم 1- نص المعاهدة 509 بين قرطاجة وروما

معاهدة 348 ق.م: هي المعاهدة الثانية (أنظر الملحق الثاني)¹ والتي نصت على أن لا يمكن للرومان ممارسة التجار في أي حال من الأحوال في "سردينيا" وإفريقيا، ولا يمكنهم

أرساء على سواحلها وفي حالة ألقته العواصف إلها يجب المغادرة في أقل من خمسة (5) أيام، أما في صقلية القارطاجيين والرومان يتمتعون بنفس الحقوق، حيث يمكن للرومان ممارسة التجارة في صقلية،² وقد تمكنت روما من بسط سيطرتها على كامل إيطاليا إلى أن وصلت إلى آخر نقطة فيه وهي "ريجيوم" فأصبحت تتطلع إلى صقلية ولم تقبل من حليفها احتكار الجزيرة³،

نورد المعاهدة:

I. يكف الرومان على ممارسة القرصنة أو التجارة أو تأسيس مدن فيما وراء "الراس الطيب" و"ماستيا" و"ترشيش".

II. القارطاجيين أن اسرولوا على مدينة لايتية غير تابعة للرومان، للرومان الحق في الممتلكات المنقولة والأشخاص، لكن عليهم بالانسحاب من المدينة نفسها.

III. إذا أسر القارطاجيون أبيع دولة مرتبطة مع الرومان بمعاملة سلم، وغير خاضعة لهم، لا يسمح بإدخال أسراهم إلى الموانئ الرومانية، وكل أسير يدخل إحدى هذه الموانئ على مرأى الرومان، ويطلق صراحه، ويخضع الرومان من جهتهم لنفس الشروط.

IV. عندما يحوم روماني بالمد أو المؤونة في بلد خاضع للسلطة القارطاجية، لا يجب أن يستغل هذه التسهيلات لإنهاء صديق أو حليف للقارطاجيين، ويخضع القارطاجيون أيضا هذه القاعدة، وفي حالة خرق هذه الشروط من أحد الطرفين، لا يحق للطرف المعتدي عليه البث في الحكم بنفسه، فمثل هذا العمل يجب أن يقي من اختصاص الدولة.

V. لا يمكن للرومان في أي حال من الأحوال ممارسة التجارة أو تأسيس مدن في "سردينيا" وفي "إفريقيا" ولا يسمح لهم بالرسو إلا للتصوين وإصلاح سفنهم، ويجب على الذين ألفت بهم العاصمة إلى الساحل الإبحار في الأيام الخمسة الموالية.

VI. في صقلية القارطاجية وفي قرطاجة نفسها، يمكن للرومان ممارسة التجارة، وأنشطة أخرى وفق الشروط التي يسمح بها للمواطنين نفس الحقوق في روما.

سعت قرطاجة بعد تمتين علاقتها بروما وتقوية تواجدتها بصقلية، وبعد ذلك ونزلت عام 264 ق.م حماية مدينة لها على "ميسينا" وهي مقابلة "لرجيوم"⁴.

الملحق رقم 2- نص معاهدة 348 ق.م بين قرطاجة وروما⁵

¹ محمد الهادي حارش، دراسات ونصوص في تاريخ الجزائروبلدان المغرب في العصور القديمة، ط 1، دار الهدى، الجزائر، 1013، ص 183.

² Polybe, III, 23.24.

³ فرانسوا دوكره، المرجع السابق، ص 130.

⁴ محمد البشير شنتي، ص ص 133. 173.

⁵ محمد الهادي حارش، ص 181.

لكن بعد أن قضى الرومان على مشاكل بحر "التيрани" دخلوا في حروب توسعية ضد قوى المسيطرة على جنوب إيطاليا، فواجهت في توسعاتها قرطاجة، فاصطدمت بقرطاجة بعد أن أصبحت تتطلع إلى جزيرة "صقلية"، فالاصطدام بين الطرفين كان حتمية تاريخية فرضها الظروف المحيطة بهم، وبعد إندلاع الحرب البونيقية الأولى (264 – 241 ق.م) في جزيرة "صقلية" مسرح الأحداث، تم إبرام أول معاهدة بين الطرفين بعد الحرب، على إثر نهاية أحداث الحرب الأولى سنة 241 ق.م.

معاهدة "لوتاتيوس" 241 ق.م:

لكن قبل تطرق إلى المعاهدة يجب العودة إلى ظروف توقيع المعاهدة، ففي الأطوار الأخيرة لهذه الحرب البونيقية الأولى، لم يكن الصراع محسوماً بين قرطاجة وروما، فرغم خسارة قرطاجة المعركة البحرية "إيغاتس" Aegates في 10 مارس 241 ق.م¹، قررت الأرستقراطية من "آل حنون" على إرسال القائد "هاميلكار" برقة² إلى "صقلية" 236 ق.م³، فقد ساعد ظهور "هاميلكار" إلى تحريك الأحداث لصالح قرطاجة في صقلية، حيث استطاع هذا الأخير بوسائله أن يستولي على الجبل المعزول قرب "الرم" جبل "هيركتي Héircté"⁴ حيث كان هذا الجبل معقله منيعاً له⁵، والرومان كانوا متوقعون في "بانرمو" Panarmus، حيث استطاع "هاميلكار" مضايقتهم في العديد من المرات، وبعد ثلاثة (3) أعوام غادر "هيركي"⁶ ونزل بجبل "إريكس erylx" بجوار "طراباني"⁷، وقد كان هناك مناورات لكن لم تكن حاسمة⁸، حيث أن الرومان لم يتمكنوا من الاستلاء على "ليليبايوم" ولا على "طراباني" مكان تمركز القرطاجيين، ولم يتمكن القرطاجيون من شن

¹ صطيفان أكصيل، تاريخ شمال إفريقيا القديم، تر: محمد التارزي سعود، ج 3، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، المغرب، 2007، ص 91.

² جوليان شارل أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية، تر: محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، ط 5، 1985، تونس، ص 97 – 98.

³ Polybe, I, 55.

⁴ Polybe, I, 56.

⁵ صطيفان أكصيل، المرجع السابق، ص 88.

⁶ Polybe, I, 56.

⁷ B. Combet Farnoux, les guerres puniques, Ed : Presses Universitaires de France, 1960, Paris, p 45.

⁸ Polybe, I, 58.

هجوم حاسم ومعاكس على الرومان،¹ غير أن هناك أحداث هي التي صنعت الفارق في هذا الصراع، وهو تأخر القائد "حنون" في مد "هاميلكار" في صقلية، بالدعم والمؤونة، بعد أن تمكن القنصل الروماني "Lutatius"² من عرقلته في الوصول إلى "إريكس" حيث كان يتمركز "هاميلكار"³، ولكن رغم ذلك فإن الجيوش القرطاجية بقيادة "هاميلكار" كانت متمركز جيداً بمعنويات مرتفعة في جبل "الإريكس"، قادرة على الصمود أكثر⁴، ولكن هذه الحرب الطويلة إنتهت بطريقة مختلفة.

حيث طلبت الأرستقراطية القرطاجية بقيادة "آل حنون" بعدم مواصلة الحرب، وتلقى القائد "البرقي" "هاميلكار" أمراً بفتح المفاوضات السلمية مع القنصل الروماني في 241 ق.م، ولتفويض "هاميلكار" في هذه المهمة هو قائد عسكري يكون مجلس الشيوخ القرطاجي قد تنازل لأول مرة على فصل السلطة السياسية على السلطة العسكرية، كلف "هاميلكار" بكل صلاحيات التفاوض مع القنصل الروماني "لوتاتيوس كاتولوس" "Lutatius Catulus"، وقد نصت المعاهدة السلام بين قرطاج وروما على البنود التالية:

- على القرطاجيين إخلاء جزيرة صقلية.
- عدم محاربة حلفاء روما "هيرون" و"سيراكوزة".
- إعادة اسرى الرومان دون فدية.
- وأخيراً تدفع قرطاج غرامة تقدر 2200 فضية مدة 10 سنوات.⁵
- مع ذلك إعتبر مجلس الشيوخ الروماني الشروط غير قاسية،⁶ فبعد المداولة في مجلس الشيوخ الروماني ارسل عشر (10) نواب لمراقبة الوضع عن قرب والحكم على الامور، ولكن لم تتغير جميع البنود ولكن تم اضافة بعض البنود:
- زيادة الغرامة المالية بـ 1000 وزنة فضية تدفع حالاً.

¹ جوليان شارل أندري، المرجع السابق، ص 97 – 98.

² Polybe, III, 6, 7.

³ Polybe, I, 60.

⁴ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 98.

⁵ Polybe, I, 62. Polybe, III, 27.

⁶ صطيفان أكصيل، المرجع السابق، ص 88-89.

- وطلبوا بأن يخلوا القرطاجيون جزيرة صقلية والجزر الواقعة بينها وبين إيطاليا (جزر الأيولية Eoliennes)،¹ وبهذا العقد إنتهت الحرب بين قرطاجة وروما بعد أن استمرت حوالي أربعة وعشرون (24) عام.

بالنظر إلى حصيلة الخسائر الحرب التي يقدمه لنا "بوليبوس" للطرفين، نجد أن خسائر الرومان لا تقل عن 700 سفينة، هذا بغير حساب السفن التي دمرتها العواصف، بينما القرطاجيون 500 سفينة، أي أقل بكثير من منافستها،² والسؤال الذي يطرح نفسه هو لماذا قررت الأرستقراطية في قرطاجة إنهاء الحرب وفتح باب التفاوض، في الوقت الذي كان بإمكانها المواصلة، فيما أن الرومان خسروا كثيرا في الحرب ولكن كانوا يملكون اصراراً على اخراج قرطاجين من جزيرة "صقلية"؟.

مما يدعو للبحث عن أسباب أخرى لتخلي عن "صقلية" والتي تتمثل في:
أولاً: أن العاصمة البونيقية بحدودها الأفريقية تحملت وحدها أعباء الحرب فقد كانت تقوم بتمويلها، عكس روما التي نالت صداقة "سيراكوزا"، وإستفادت من حلفائها الإيطاليين،³ (إليا . لوكريس . ترنتوم)، فثقل الحرب البونيقية الأولى الاقتصادي كان على حساب "الأليجارشية" القرطاجية الحاكمة، أن ذلك "آل حنون"،⁴ مما جعلهم يسرعون في عملية التخلص من الحرب بسبب الضائقة المالية التي عانتها قرطاجة.

ثانياً: وتهاون الحكومة القرطاجية، وعدم تكثيف الجهود البحرية التي كانت لهم فيها أفضلية على روما في البداية، وعدم إستغلال الفرص التي أتاحت لصدم تقدم الرومان في جزيرة "صقلية"، وذلك راجع الى إختلاف أهمية الجزيرة لدى أطراف الصراع، فالرومان يرونا أهمية في "صقلية" أكثر من الاليجارشية في قرطاجة التي رأت في التوسع في افريقيا بديلا عن ذلك،⁵ كما أن دخول قرطاجة الحرب في "صقلية" كان من أجل الدفاع عن بعض المواقع في الجزيرة، تدخل من جهازها العسكري الأمامي، فلم تكن صقلية في هذه

¹ B.Combet Farnoux , p46.

² Polybe, I, 63.

³ فرانسوا دوكره، المرجع السابق، ص 143.

⁴ محمد الهادي حارش، "قراءة تحليلية لأسباب الحروب البونيقية (من منظور المصادر القديمة)"، مجلة

دراسات تراثية، العدد 05، الجزائر، 2014، ص 16-22.

، ص 20.

⁵ صطيفان أكصيل ، المرجع السابق، ص 88 - 89.

المرحل ذات أهمية كبيرة بالنسبة لقرطاجة فبدونها كانت قرطاجة تسيطر على الحوض الغربي للمتوسط، ولهذا اعتبرت ان التخلي على صقلية لا يشكل خطر على تجارتها،¹ ولكن "الأليغارشية" القرطاجية لم تدرك أن هذا التخلي سيتسبب في تفكيك محطاتها التجارية، حيث دعت هذه الأخيرة إلى قبول السلم مادام هناك بديل في إفريقيا فضيعها وأريقها الغنية ستعوض ما فقده.

ثالثاً: نقص الامكانيات البشرية والمادية، هي التي وضعت الفارق بين المتحاربين، فقد كان مجلس الشيوخ الروماني يكلف عدداً كبيراً من قادة الحرب بمهام سياسية وعسكرية، عكس قرطاجة التي كانت تعتمد على حنكة وبراعة القائد "هاميلكار" وحده، وفي هذا السياق يشير "بوليبوس" الى مسألة مهمة، وهي الدستور الروماني في مواجهة الدستور القرطاجي، فقد كانت الفرسان الرومانية أشجع من الفرسان القرطاجية، رغم أن ظهور "هاميلكار" اكسب قرطاجة نقاط على حساب روما، ولكن لم تكن المشكلة في قائد الجيوش، بل كانت في المنظومة التي كانت تحرك الحرب،² في اشارة منه الى افضلية تعامل مجلس الشيوخ الروماني مع الحرب عكس قرطاجة، فقد كان القائد القرطاجي "هاميلكار" في مواجهة المجلس الشيوخ الروماني

الذي تبني الحرب، عكس قرطاجة التي طلب "الأليغارشية" بأنهاء الحرب.³

قد ترتب على معاهدة 241 ق.م مجموعة من النتائج هي :

- لم تحمل معاهدة السلام المبرمة في 241 ق.م سلاماً لقرطاجة بل حملت في طياتها حرباً أخرى ولكن هذه المرة على ارضها، فبعد ابراه معاهدة السلام قرر القائد القرطاجي "هاميلكار" برقة الاستقالة عن منصبه كقائد عسكري للقوات العسكرية القرطاجية في "صقلية"، وقد تولى المنصب بعده القائد "جسكون"، الذي كلف بعملية اخلاء جزيرة "صقلية" من الجنود، والذي تم إرسالهم الى إفريقيا في دفعات متفاوتة من أجل أخذ مستحقاتهم ويتم تسريحهم الى بلدانهم،⁴ ولكن بسبب الضائقة المالية التي عانتها قرطاجة خلال الحرب البونيقية الأولى، والتي كانت هي سبب إنسحابها من جزيرة "صقلية"، بالضافة الى الغرامة التي فرضتها عليها معاهدة السلام 241 ق.م حيث كان

¹ فرانسوا دوكريه، المرجع السابق، ص 143.

² Polybe, I, 64.

³ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 97 – 98.

⁴ Polybe, I, 67.

على قرطاجة الدفع الفوري والدفع المؤجل للغرامة عقب نهاية الحرب البونيقية الأولى،¹ ومن أجل هذه الظروف قررت الحكومة القرطاجية أن تأجل دفع رواتب الجنود بسبب العجز.

- ولكن شكل هذا القرار رد فعل عنيف جداً لدى الجنود التي كانت تنتظر دفع أجورها، فقد تجمع جنود "المرتزقة" -جنود المأجورة- في "سيكا Sicca" -مينة الكاف-، ساخطين على الحكومة قرطاجية التي لم تؤدي لهم مستحقاتهم حوال 20.000 جندي² فعمت الفوضى وزحفوا نحو العاصمة البونيقية قرطاجة وعسكروا في "تونس"،³ على بعد حوالي 120 ملعباً على مدينة قرطاجة.⁴

- اشعلت الحرب التي عرفت في المصادر التاريخية بالحرب الافريقية، فقد أخذت هذه الحرب طابع ثوري، حيث كانت بمثابة ثورة اجتماعية لليبين⁵ الساخطين على الضرائب التي كانت تفرضها الحكومة القرطاجية والتي كانت تثقل عاتق المزارعين،⁶ وتتوسع على حساب اراضيهم الزراعية، فقد لقيت هذه الثورة استجابة كبيرة من الافارقة الذين قدموا الدعم لـ"ماتوس Mathos"، فقد كانت هذه الحرب جد عنيفة ذلك انها كانت على ارض واحدة، فقد أعربت هذه الحرب على طبيعة العلاقات القرطاجية بالسكان المحليين الليبين.⁷

من نتائج معاهدة 241 ق.م إستنجدت الحكومة القرطاجية بـ"هاميلكار"، فعاد كقائد للقوات العسكرية في قرطاجة، والذي تمكن من كسب معركة حاسمة على المرتزقة، وإعادة الوضع إلى السيطرة، بخبرته وحنكته كقائد عسكري.

¹ فرانسوا ديكره، المرجع السابق، ص 172.

² Polybe, I, 67.

³ صطيفان أكصيل، المرجع السابق، ص 96.

⁴ Polybe, I, 68.

⁵ إستعملنا مصطلح الثورة لأن مضمونها إجتماعي، حيث يسميها "بوليبوس" الحرب الليبية، و"تيت ليفوس" الحرب الافريقية، ونرى ان عبارة الجند المأجور أخف من حرب المرتزقة، محمد العربي عقون، مجلة العلوم الانسانية، من تداعيات الحرب البونية الاولى على قرطاجة ثورة جندها المأجور (241 - 237 ق.م)، عدد 21، سنة 2004، قسنطينة، ص 208.

⁶ Appien, *Histoire Romaine*, Tr : Goukowsky, Ed : les belles lettres, paris, 2002, livre : Ibérique III, chapitre I,4.

⁷ Polybe, I, 71.72. I, 78.79

معاهدة سردينيا 238 ق.م:

في نفس وقت الحرب الافريقية تعاطف سكان "سردينيا" مع المرتزقة الثوار ضد قرطاجة وقدموا الدعم للمرتزقة، فسارعت قرطاجة في إرسال القائد "حنون" لقمع التمرد، ولكن قواته عجزت عن ذلك، وبهذا ساءت العلاقة بين سردينيا وقرطاجة،¹ وقد إستنجد مرتزقة جزيرة "سردينيا" بروما، التي إستغلت الوضع الصعب الذي تمر به قرطاجة أجبرتها على توقيع معاهدة جديدة سنة 238 ق.م والتي تنازل بموجها على جزيرتي "سيردينيا" و"كورسيكا"² مع دفع 1200 وزنة أوبية اضافية لروما،³ تعويضاً عن الأضرار التي الحقت بالتجار الرومانيين خلال هذه الحرب.⁴ فمن نتائج معاهدة 238 ق.م ما يلي:

أولاً: فقدان جزيرتي "سيردينيا" و"كورسيكا" بعد أن فرض الرومان إنسحاب قرطاجة من الجزيرتين بموجب معاهدة 238 ق.م،⁵ بالإضافة الى تغريمهم بغرامة مالية إضافية،⁶ بعد أن فقدت جزيرة "صقلية" والجزر الواقعة بينها وبين إيطاليا بموجب معاهدة 241 ق.م، وبهذا يكون الرومان قد جردوا القرطاجيين من أهم جزر الحوض الغربي للمتوسط، بعد ما كانوا اسياداً عليهم، الأمر الذي أثر سخط ونقمة القرطاجيين من ناحية وزاد في نمو الحس الوطني من ناحية أخرى، اذ فجر الظلم الصارخ بالحق "سردينيا" و"كورسيكا" روح الاعتزاز الوطني لدى البونيقين الذين اقتنعوا باستحالة أي اتفاق دائم مع روما.⁷

ثانياً: خلافات سياسية بين "آل برقة" و"آل حنون"، حيث شهد الحزب "الديموقراطي" بقيادة "هاميلكار" تفوقاً نسبياً على الحزب "الأرستقراطية" من عصابة "حنون"، حيث أثبت القائد البرقي "هاميلكار" أنه المنتصر الحقيقي في هذه الحرب الافريقية، فهذا

¹ Polybe, I, 79.

² Appien, III, 1, 4.

³ Polybe, I, 88.

⁴ Appien, III, 1, 4.

⁵ Polybe, III, 13.

⁶ Tite-Live, **Histoire Romaine**, Tr : Annette Flobert, Ed : Flammarion, Paris, 1999, Livre :XXI,

Chapitre I, 5.

⁷ Polybe, III, 13.

الانقلاب الداخلي في سياسة قرطاجة فتح الطريق أمام الديموقراطية في قرطاجة لتسمح الفرصة أمام "هاميلكار" في تولي منصب القيادة العسكرية في قرطاجة خلفا "لحنون" مستفيدا من دعم رجال السياسة في مقدمته صهره الجديد "أصدروبعل" –الجميل–، ليصبح القائد الأعلى للقوات البونيقية في إفريقيا¹

ثالثا: إختلاف إيديولوجية السياسية بين حزبين: الأول "آل حنون" ممثلو الأرستقراطية التجارية يميلون إلى السلم مقتنعون بالوضع الراهن يكتفون بتوسيع أراضيهم في إفريقيا، والثاني "آل برقة" ممثلوا الشعب والذي كانوا يميلون إلى التوسع خارج إفريقيا، لتعويض ما فقدته في "صقلية" و"سيردينيا" و"كورسيكا"، وقد قاد ذلك القائد القرطاجي "هاميلكار" الذي فكر في إسبانيا.

كانت سياسة آل برقة ترمي إلى إعادة بناء قوة قرطاجية التي فقدت السيطرة على الحوض الغربي للمتوسط، وكان مشروع التوسع في إسبانيا معداً بكل تفاصيله من "آل برقة" بهدف معالجة المشاكل الجذرية لقرطاجة، فمخطط "هاميلكار" الذي مشي عليه لم يكن إرتجالي بل كان مشروع يرمي إلى إعادة التوازن في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط.²

إستفاد "هاميلكار" من دعم "أصدروبعل" – الذي لقب بالجميل – من الأرستقراطية، ولتوطيد العلاقات نجد أن "هاميكار" قام بتزويج إبنته من "أصدروبعل"، بالإضافة إلى "هاميكار" و"أصدروبعل" كان هناك "حنبل" وأخويه "أصدروبعل" – الصغير – وماغون – برقة – خرج الخمسة سنة 237 ق.م نحو إسبانيا عن طريق البر بسبب تخلى قرطاجة على أسطولها البحري ونقص السفن،³ ويذكر "أبيانوس" أن "هاميلكار" عبر المضيق دون إذن من حكومة القرطاجية.⁴

معاهدة الإيبرو 226 ق.م:

عمل "هاميلكار" بمساعدة صهره في إسبانيا خلال ثمن (8) سنوات 237 – 229 ق.م على فتح كامل جنوب إسبانيا، كانت البداية من "قادس" ثم اخضاع القبائل المجاورة،

¹ فرانسوا دوكريه، المرجع السابق، ص 152.

² نفسه، ص 180.

³ Polybe, III, 1, 11.

⁴ Appien, *Hannibalique*, I, 2.

ومع بداية 236 ق.م شرع "هاميلكار" في تنظيم إستغلال مناجم "السيرامورينا Morina"¹، وسك عملة جديدة من الفضة، رغم انه بهذا ضمنا إستقلاله عن قرطاجة إلا انه كان يرسل سفن محملة بالمعادن والتي كانت كفيلة بإعادة بعث الاقتصاد القرطاجي من جديد، وكذلك لدفع الغرامة المالية المفروضة عليها، وقد شهدت السنوات الأولى عدم دعم الحكومة القرطاجية لمشروع آل برقة في إسبانيا، وقد استغرق "هاميلكار" من 235 - 231 ق.م وهو يخضع قبائل الساحل إلى ان وجه نظاره إلى الداخل، فقد كان على "هاميلكار" أن ينفذ إلى الداخل من أجل إحكام السيطرة وعدم الاكتفاء بالساحل، وقد اثارت توسعات "هاميلكار" مخاوف "مارسليا" التي نهت روما وهي بدورها أرسلت بعثة 231 ق.م لتفقد الأمر، فقام "هاميلكار" بإستقبال البعثة أحسن استقبال واقتنعهم أن العمليات ما هي إلا نشاط ضد القبائل الاسبانية التي تعيق التجارة البونيقية في إسبانيا وبالتالي تحول دون دفع الغرامة الحربية المفروضة في معاهدة السلام -241 ق.م و 238 ق.م - مع روما، وفي شتاء 229 ق.م ترك "هاميلكار" مدينته استئناف عملية التوسع نحو الداخل، أخذ فيلته وجيوشه وذهب إلى إخضاع مدينة "هيليس"، ولكنه قبائل "الأورتانيين" أظهرت له ولائها ولكنها سرعان ما هجمته، فتعرض معسكره إلى هزيمة فحاول اللحاق بقواته لكنه سقط في نهر وتوفي فيه.²

لم يكن من السهل تعيين خليفة لـ "هاميلكار" في إسبانيا، فقد خلف وضعية صعبة وخاصة أن الجنود قد كسبوا حق اختيار القائد العسكري بعد حرب المرتزقة، فعادت القيادة لصهره "أصدروبعل" -الجميل- بخيار من الجنود، والذي رافق "هاميلكار" خلال السنوات الأخيرة وقدم له الدعم منذ أن كانوا في قرطاجة.³

إستطاع "أصدروبعل" في فترة وجيزة أن يوسع نفوذ العائلة "آل برقة" في إسبانيا، فقد بسط نفوذه على مناطق شاسعة في جنوب إسبانيا،⁴ من خلال أساليبه السلمية مع قبائل الايبيرية،⁵ فقد جمعته علاقات ودية مع أمراء إسبان،⁶ فبعد وفاة ابنة "هاميلكار"

¹ فرونسوا دكري، المرجع السابق، ص 180.

² ستفان قزال، المرجع السابق، ص 117.

³ تسيركين يولي بركوفيتش، المرجع السابق، ص 66.

⁴ Appien, III, 1, 3.

⁵ Appien, *Ibérique*, chapitre II, 6.

⁶ Tite —Live, XXI, 1, 2, 4.

تزوج "أصدروبعل" من ابنة أحد رؤساء القبائل الاسبان، مما كان له اثر في تقبل الايبيريين لسيادة قرطاجة، فقد دع "أصدروبعل" الى اتحاد واسع يضم قبائل شبه الجزيرة الايبيرية، فبالإضافة إلى الشرعية التي أعطتها له قرطاجة، يكون بذلك تحول من قائد عسكري أجنبي إلى قائد عسكري وطني، ومن الاعمال التي قام بها "أصدروبعل" كان بناء مدينة "قرطاجنة" (قرطاجة الجديدة) "Carthage Nova" العاصمة البونيقية في إسبانيا سنة 227 ق.م.¹

وفي سنة 226 ق.م اخذت روما تبدي قلقها من تطور الموقف في إسبانيا²، كما كانت لها علاقة قوية بمدينة "مساليا". و التي كانت مستعمرة اغريقية قديمة في جنوب "الغالة"، وقد زاد تخوف روما من تحالف يكون بين "الغالين" والبونيقيين ضدها، ولما امتد النفوذ القرطاجي لـ "مساليا" أرسلت الى روما محتجة على عمل "أصدروبعل"³ فقامت روما بتوجيه انظارها نحو إسبانيا فأرسلت سفارة لإستطلاع الوضع، ووقعت مع "أصدروبعل" اتفاقية تنص على {منع قوات البونيقية إجتياز نهر "الإيبرو" إلى الشمال، وتحظر أي عمل عسكري للبونيقيين شمال هذا النهر}⁴ وهكذا كان هذا الاتفاق بمثابة اعتراف من روما على بسط قرطاجة نفوذها على كامل جنوب اسبانيا بموجب معاهدة "الإيبرو" 226.⁵

¹ تقع المدينة "قرطاجنة" جنوب شرق اسبانيا بالقرب من المناجم الغنية جداً بالفضة والمدينة عبارة عن شبه جزيرة وتحيط بها التلال من جهات باستثناء الجنوب الموجه للبحر، والمرتفعات تشكل تحصيناً طبيعياً للمدينة، والسهول الغنية وقد أسس فيها مجموعة من المراكز الصناعية، كمصنع للسفن ودار لسك العملة، وقد كانت المدن البونيقية في اسبانيا محصنة، وعلى أحد الهضبات العالية بنى "أصدروبعل" قلعة المدينة. تسيطرين يولي بركوفيتش، المرجع السابق، ص 76. وأهم المنشآت فيها هو القصر الملكي على طابع "الهيليني" مما جعل منافسيه في قرطاجة يتهمونونه بأنه أراد أن يكون ملكاً، التسمية شبيه بحد كبير قرطاجة (قرط-حشت) المدينة الجديدة، وتشير الفكرة إلى رغبة "أصدروبعل" في الانفصال عن وطن الأم، فيما يرى البعض أن "قرط" تعني العاصمة وبالتالي هي عاصمة جديدة، والتي سماها الرومان "قرطاجة الجديدة" "Carthage Nova" وقد نقلوا لإسبانيا عبادة اللاله "ملقرت" بدل "بعل أمون" المعبود الأول في قرطاجة، صطيفان أكصيل، المرجع السابق، ص 116.

² Fathi ABDELKDRE, *Dans la tempête de l'Histoire – Hannibal ou Jugurtha*, Ed: Hihri, 2008, Alger, p 20 – 21.

³ صطيفان أكصيل، المرجع السابق، ص 119.

⁴ Tite – Live, XXI, 1, 2, 7.

⁵ محمد الهادي حارش، التاريخ المغربي القديم، المرجع السابق، ص 266.

يضع "بوليبوس" روما في موضع الطالب للمعاهدة، واعتقاداً منه أن روما هي المستفيدة من المعاهدة، بدعوى أن المعاهدة سجلت إنتصاراً معنوياً لقرطاجة بالاعتراف بوجودها في إسبانيا، والواقع أن "أصدروبعل" هو المتنازل، مما يجعلنا نفترض أن "بوليبوس" تم تغليطه، والدافع إلى الاعتقاد أن الاتفاق تم بين طرفين متساويين، وأن روما التي تعترف بإمبراطورية "آل برقة" في إسبانيا، كان هدفها هو ضمان أمن روما فقط، في الوقت الذي يمكننا أن نرى في المعاهدة املاء حقيقي يهدف وضع حد في الحال للتوسع البونيقي في إسبانيا.¹

بالإضافة إلى نقطة مهمة هي السبب الذي دفع رومان باللجوء إلى التفاوض مع "أصدروبعل" عوضاً مجلس الشيوخ قرطاجي، فبالعودة إلى معاهدة "Lutatius" 241 ق.م، التي جمعت الطرفين، نصت هذه الاتفاقية على بند خاص، أن الاتفاق ساري المفعول إلا أن يوافق مجلس الشيوخ والشعب الروماني، ولكن معاهدي الايرو 226 ق.م كانت مع "أصدروبعل" الذي قال أن القرطاجيين سيلتزمون بالشرط المبرمة في المعاهدة،² مما يجعلنا نشكك في نوايا روما بطلبها للتفاوض مع "أصدروبعل" بدل الحكومة القرطاجية، فهذه المعاهدة لم تبرم بين الجمهوريتين كما حدث سابقاً في معاهدة 241 ق.م.

فبالعودة إلى بنود الاتفاق "الايرو" بين روما وأصدروبعل"، هناك نقطة مهمة حول مدينة "ساغنتوم" التي يعتبر إحتلالها سبب مباشر في الحرب البونيقية الثانية (218 - 201) ق.م، فهل كان هناك بند في الاتفاق يستثني مدينة "ساغنتوم" حليفة روما؟ ومتى كان هذا الحلف؟

كانت مدينة "ساغنتوم" تتمتع برخاء اقتصادي وحضاري وتعد من أرقى المدن الإيبيرية، والساغنتيين رفضوا المجلس الذي دعا إليه "أصدروبعل" 229 ق.م للهيمنة البونيقية في إسبانيا، وتقربوا إلى روما وأصبحوا حلفاء لها،³ وبهذه الطريقة أصبحت روما تتدخل في إسبانيا، ولكن لا ندري متى كان هذا الحلف قبل اما بعد معاهدة الايرو.⁴ ولكن الغالب أن روما بعد أن أنهت حروبها في قهر الغاليون في واد "البو" اردت التدخل

¹ محمد الهادي حارش، مجلة دراسات تراثية، المرجع السابق، ص 16-22.

² Polybe, III, 29.

³ Tite – Live, XXI, 1, 6, 8.

⁴ محمد الهادي حارش، مجلة دراسات تراثية، المرجع السابق، ص 21-20.

في إسبانيا، فسارعت لقبول عرض "الساغنتيين"،¹ وخصوصاً ان إمبراطورية آل برقة في إسبانيا من مضيق أعمدة هراقل إلى نهر "الإيرو" كانت تقلقهم وتشكل خطراً عليهم.² كما أن موقع المدينة قد اثار جدلاً بين المؤرخين، حيث أن مدينة "ساغنتوم"³ تقع حوالي 130 جنوب هذا النهر "الايرو" النهر الوارد في المعادة التي كانت بين "أصدروبعل" ورما، أي في منطقة نفوذ القرطاجين، فيما يرى "أبيانوس" أن المدينة تقع شمال هذا النهر،⁴ وكذلك هذا الرأي يذهب اليه بوليبيوس أن المدينة تقع شمال نهر "الايرو".⁵ كان لـ"أصدروبعل" سياسة دبلوماسية ممتازة في شبه الجزيرة الإيبيرية، خلال مدة 8 سنوات،⁶ لكن كانت كثير من القبائل الإيبيرية كانت ترفض تدخل آل برقة في إسبانيا، فدخل أحد افراد إلى عاصمة "قرطاجنة" خلال حفل الصيد الذي أقامه "أصدروبعل"،⁷ وقام بطعنه فقتله في 221 ق.م، وهو أحد أفراد "الكلتين"⁸ العبيد الذي تم القبض عليه على الفور وتم صلبه.⁹ أحدث إغتيال "أصدروبعل" اضطرابات في قرطاجنة، واختار "حنبل" أبن "هاميلكار" وصهر "أصدروبعل" - أخ زوجته -، من قبل الجنود كقائد ثالث في إسبانيا،¹⁰ والذي أبدى عن قدرات وخبرة عسكرية بالإضافة إلى مؤهلاته الحربي، كقائد لهم بالإجماع،¹¹ وهو شاب في الخامسة والعشرين (25) من عمر،¹² دون انتظار قرار الحكومة القرطاجية¹³

¹ صطيفان أكصيل، المرجع السابق، ص 119.

² Polybe, III, 13.

³ "ساغنتوم" مستعمرة أسستها اقوام جاءت من الجزر "الأيونية" الاغريقية، وهي توجد في نصف الطريق بين جبال "البيروس" ونهر "الايرو"، Appien, II, 7.

⁴ Appien, Hannibalique, I, 3.

⁵ Polybe, III, 30.

⁶ Tite—Live, XXI, 1, 2, 3.

⁷ Appien, Hannibalique, I, 2.

⁸ صطيفان أكصيل ، المرجع السابق ، ص 118.

⁹ Tite—Live, XXI, 1, 2, 5.

¹⁰ Tite—Live, XXI, 1, 3, 2. Appien, Hannibalique, I, 3.

¹¹ Tite—Live:XXI III ,2,3,4.IV, 3.

¹² Polybe,; III,13.

¹³ Tite—Live, XXI, 1, 3.

قام "حنبل" بعمليات الاخضاع الواسعة في إسبانيا¹، فقد سار في الأول الى Olcades ثم قام بإخضاع Carpetan لم يبق من يقف في وجهه جنوب نهر "الاييرو" إلا "ساغنتوم"²، إلا انه لم يتقدم "حنبل" صوبها، فرض سلطانه على إسبانيا³، فالحرب لم تبدأ على "ساغنتوم" ولكن الحرب على جيرانها أثارت مخاوفهم، فأرسلت "ساغنتوم" وفداً الى روما لمساعدتها للخطر الذي يهددها،⁴ لم يتقبل الرومان طلبهم ولكن لم يمكنهم تجاهل إنجازات التي حققها القرطاجيون في إسبانيا، ولكن بعد ارسال "الساغونتين" عدد من الوفود، قرر مجلس الشيوخ دراسة الوضع وقرروا إرسال وفد الى "حنبل" مقر إقامة جيوشه في "قرطاجنة" وطلبوا منه عدم تعدي على "ساغنتوم" لأنها تحت الحماية الرومانية، وعدم اجتياز نهر "الإييرو" وفقاً للاتفاق المبرم مع "أصدروبل"⁵.

تروي لنا المصادر الحوار الدبلوماسي بين الوفد الروماني ومجلس الشيوخ القرطاجي على النحو التالي: حمل رئيس الوفد الروماني "فاليريوس فلاكوس" رداً قائلاً: {إن أحمل السلم والحرب، فإختاروا ما تريدون}، بطريقة إستفزازية أن الرومان يستطيعون على الحرب وعلى السلم معاً، ولكن رئيس مجلس الشيوخ القرطاجي قال: {خذ ما تريد}، فرد رئيس الوفد الروماني: {نختار الحرب}، فصرخ الجميع: {ونحن موافقون}، ثم أرسل الى "حنبل" أن له كامل الصلاحيات التصرف

في إسبانيا لأن المعاهدة مع روما قد نقضت.⁶

حيث ذهب المصادر الى أن الدوافع الشخصية لـ "حنبل" هي التي جعلته يفتعل الخلافات لمدينة "ساغنتوم" ويقوم بالاعتداء عليها،⁷ وبذلك يكون قد إخرق معاهدين، الاولى معاهدة 241 ق.م التي تمنع على الاطراف المتحاربة الاعتداء على حلفاء بعضهم البعض، والثانية معاهدة "الاييرو" 226 ق.م التي تمتع تجاوز نهر المذكور في المعاهدة، ولكن إذا ما نظرنا الى الوضع نجد أن "حنبل" قد فرض كامل سلطانه على جنوب

¹ وقد تزوج من امرأة من الأهالي كانت من "كاستولو Castulo"

² Yann le bohec , *Histoire militaire de guerres puniques 264 – 146 av.J-c* , ed : TEXTO , Paris, 2014, p 129- 132.

³ Polybe, : III, 14.

⁴ Appien, *Ibérique*, II, 7.

⁵ Polybe, III, 15.

⁶ Tite – Live, XXI, 1, 6, 3

⁷ Appien, *Hannibalique*, I, 3.

إسبانيا ولم يكن ما يقف في طريقه إلا مدينة "ساغنتوم" التي كانت تحظى بدعم من روما، فاستراتيجيته كقائد عسكري تحتم عليه مهاجمة المدينة فهي تشكل خطر عليه خصوصا انها في منطقة نفوذه.

ثالثا: الحكومة القرطاجية تتحمل جزء كبير من مسؤولية الحرب، رغم أن "فابيوس" يرى أن تصرف "حنبل" تصرف معزولا عن الحكومة القرطاجية، ولكن "بوليبوس" يرى عكس ذلك حيث يرى أن الحكومة القرطاجية تتحمل المسؤولية وخصوصا أنها هي من التزمت بموجب معاهدة سنة 241 ق.م مع الرومان، على الرغم من أن الحكومة القرطاجية لم تدعم مشروع آل برقة من البداية ولكن آل برقة كانوا يرسلون الاعنات المادية لقرطاجة، بالإضافة أن مجلس الشيوخ الروماني أرسل وفداً الى افريقيا من أجل التفاوض، حيث طلب الوفد تسليم "حنبل" كدليل على عدم تورطهم في التصرف الذي قام به "حنبل" تجاه "ساغنتوم" ولكن المجلس القرطاجي رفض، لذلك لا يجب أن ننفي الحكومة القرطاجية في تورطها في الامر.

من خلال عرضنا لأهم معاهدات الدبلوماسية التي كانت بين قرطاجة وربما المتحاربين، يمكن القول أن الحلول السلمية والمسالك الدبلوماسية كانت موازية للمسالك العسكرية خلال الحروب البونيقية، فقد كانت تنتهي الحروب بمعاهدات وتبدأ بخرق هذه المعاهدات، لذلك شكلت دراسة المعاهدات جانب مهم في تاريخ الحروب البونيقية، حيث لا يمكن دراسة الأحداث العسكرية بمعزل عن الجوانب السياسية والطرق السلمية المتمثلة في المعاهدات.